المسيب يقبلون جوائز السلطان وكان ابن شهاب يقبلها ويتقلب في جوائزهم وكانت اكثر كسبه وكذلك ابو
الزناد وكان مالك وابو يوسف والشافعي وغيرهم من فقهاء الحجاز والعراق يقبلون جوائز السلاطين والامرا
وكان سفيان الثوري مع ورعه وفضله يقول جوائز السلطان احب الي من صلة الاخوان لان الاخوان
يمنون والسلطان لا يمن ومثل هذا عن العلماء والفضلاء كثير قد جمع الناس فيه ابوابا ولاحمد بن خالد
فقيه الاندلس وعالمها في ذلك كتاب حمله على وضعه وجمعه طعن اهل بلده عليه في قبوله جوائز عبد الرحمن
الناصر اذ نقله الى المدينة بقرطبة واسكنه دارا من دور الجامع قريبة واجرى عليه الرزق من الطعام والادام
والناصح ومثله في بيت المال حظ والمسؤول التخليط فيه هو السلطان كما قال عبد الله بن مسعود لك
المهنا وعليه المأثم ما لم تعلم الشيء بعينه حراما ومعنى قول ابن مسعود هذا قد اجمع العلماء عليه فمن علم الشيء
بعينه حراما ماخوذا من غير حله كالجزية وغيرها وشبهها من الطعام او الدابة وما كان مثل ذلك كله من الاشياء
المتعينة غصبا او سرقة او ماخوذة بظلم بين لا شبهة فيه فهذا الذي لم يختلف احد في تحريمه وسقوط عدالة
آكله واخذه وتملكه وما اعلم من علماء التابعين احدا تورع عن جوائز السلطان الا سعيد بن المسيب بالمدينة
ومحمد بن سيرين بالبصرة وهما قد ذهبا مثلا في التورع وسلك سبيلهما في ذلك احمد بن حنبل واهل الزهد
والورع والتقشف رحمة الله عليهم اجمعين والزهد في الدنيا من افضل الفضائل ولا يحل لمن وفقه الله
تعالى وزهد فيها ان يحرم ما اباح الله منها والعجب من اهل زماننا يعيبون الشبهات وهم يستحلون الحرام
ومثالهم عندي كالذين سالوا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن المحرم يقتل القراد والحلمة فقال للسائلين ممن انتم
فقالوا من اهل الكوفة فقال تسالوني عن هذا وانتم قتلتم الحسين بن علي رضي الله عنهما وروى ابن عمر رضي الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما اتاك من غير مسألة فكله وتموله وروى هذا الحديث ايضا عن عبد الله بن عمر
عن عمر رضي الله عنهما ما اتاك من غير مسألة فكله وتموله وروى ابو سعيد الخدري وجابر بن عبد الله عن النبي صلى
الله عليه وسلم معناه وفي حديث احدهما انما هو رزق رزقكه الله وفي لفظ بعض الرواة ولا ترد على الله رزقه
وهذا كله مركب مبني على ما اجمعوا عليه وهو الحق لمن عرف الشيء المحرم بعينه انه لا يحل فهذه المسألة من
كلام ابن عبد البر انتهى وحضر ابن مجبر مع عدو له جاحد لمعروفه وامامهما زجاجة سوداء فيها
خمر فقال له الحسود ان كنت شاعرا فقل في هذه فقال ارتجالا ° سأشكو الى الندمان الى اخر الحكاية
وقد تقدمت في رسالة الشقندي رحمه الله تعالى وابن مجبر هو ابو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن
مجبر الفهري كان في وقته شاعر المغرب ويشهد له بقوة عارضته وسلامة طبعه قصائده التي صارت امثالا
وبعدت على قربها منالا وشعره كثير يشتمل على اكثر من تسعة آلاف واربعمائة بيت واتصل بالامير ابي عبد الله
ابن سعد بن مردنيش وله فيه امداح وانشد يوسف بن عبد المؤمن يهنيه بفتح ه
ان خير الفتوح ما جاء عفوا ° مثلما يخطب الخطيب ارتجالا ° وكان العباس الجراوي حاضرا
فقطع عليه الحسادة وحدها وقال يا سيدنا اهتدم بيت وضاح ° خير شراب ما كان عفوا
كانه خطبة ارتجال ° فبدر المنصور وهو حينئذ وزير ابيه وسنه قريب العشرين
وقال ان كان اهتدمه فقد استحقه لنقله اياه من معنى خبيث الى شريف فسر ابوه بجوابه وعجب الحاضرون
ومر المنصور ايام امرته باوقية من ارض شلب فوقف على قبر الحافظ ابي محمد بن حزم ثم رفع راسه
وقال يا عجبا لهذا الموضع يخرج منه مثل هذا العالم ثم قال كل العلماء عيال على ابن حزم ثم رفع راسه وقال
كما ان الشعراء عيال عليك يا ابا بكر يخاطب ابن مجبر ومن شعر ابن مجبر يصف خيل المنصور من قصيدة مدح
له حلبة الخيل العتاق كانها ° نشاوى تهادت تطلب العزف والقصفا ° عرابيب اغنتها الحجول عن الحلي
فلم تبغ حليا الا ولا التمست وقفا ° ومن يقق كالطرس تحسب انه ° وان جردوه في ملاءته اللغا
وابلق اعطى الليل نصف اهابه ° وغار عليه الصبح فاحتبس النصفا ° وورد تغشى جلده شفق الدجا
فاحرزه دلي له الذيل والعرفا ° واشقر مج الراح صرفا اديمه ° واصفر لم يمسح بها جلده صرفا
واشهب فضي الاديم مدنر ° عليه خطوط غير مفهمة حرفا ° كما خطط الراهي بمهرق كاتب
فجر عليه ذيله وهو ما جفا ° تهب على الاعداء منها عواصف ° ستنسف ارض المشركين بها نسفا
ترى كل طرف كالغزال فتمتري ° اظبيا ترى تحت العجاجة ام طرفا ° وقد كان في البيداء يالف سربه
فربته مهرا وهي تحسبه خشفا ° تناوله لفظ الجواد لانه ° على ما اردت الجري اعطاكه ضعفا
ولما اتخذ المنصور مقصورة الجامع بمراكش بدار ملكها وكانت مدبرة على انتصابها اذا استقر المنصور
ووزراؤه بمصلاه واختفائها اذا انفصلوا عنها انشد في ذلك الشعراء فقال ابن مجبر من قصيدة اولها
اعلمتني القي عصى التسيار ° في بلدة ليست بدار قرار ° الى ان قال
طورا تكون بمن حوته محيطة ° فكانها سور من الاسوار ° وتكون حينا عنهم مخبوءة
فكانها سر من الاسرار ° وكانها علمت مقادير الورى ° فتصرفت لهم على مقدار
فاذا احست بالامام يزورها ° في قومه قامت الى الزوار ° يبدو فتبدو ثم تخفى بعده
كتلون الهالات للاقمار ° وممن روى عنه ابو علي الشلوبين وطبقته وتوفي بمراكش سنة ٥٨٨
وعمره ثلاث وخمسون سنة رحمه الله وقد حكى الشريف الغرناطي شارح المقصورة هذه الحكاية
باتم مما ذكرناه فقال من الكاتب ابن عياش كان يعقوب المنصور الموحدي قال كانت لابي بكر بن مجبر
وفادة على المنصور في كل سنة فصادف في احدى وفاداته فراغه من احداث المقصورة التي كان

احدثها

احدثها بجامعه المتصل بقصره في حضرة مراكش وكانت قد وضعت على حركات هندسية ترفع بها لخروجه
وتخفض لدخوله وكان جميع من بباب المنصور يومئذ من الشعراء والادباء قد نظموا اشعارا انشدوها اياما
في ذلك فلم يزيدوا على شكره وتجزيته الخير فيما جدده من معالم الدين واثاره ولم يكن فيهم من تصدى لوصف
الحال حتى قام ابو بكر بن مجبر فانشد قصيدته التي اولها ه اعلمتني القي عصى التسيار ه
واستمر فيها حتى الم بذكر المقصورة فقال يصفها طورا تكون الى اخره ° فطرب المنصور لسماعها وارتاح
لاختراعها انتهى وقد بطلت حركات هذه المقصورة الآن وبقيت اثارها حسبما شاهدته سنة
عشر والف والله وارث الارض ومن عليها ومن نظم ابن مجبر ايضا ما كتب به الى السلطان ملك
المغرب رحمه الله تعالى وقد ولد له ابن ابلغ لابن مجبر ه ولد العبد الذي انعامكم
طينة انشي منها جسده ° وهو دون تعلمي انه ° لا يسمى العبد الا سيده
وقوله ملك ترويك منه شيمة ° آنست الظمآن زرقاء النطف ° جمعت من كل مجد فحكت
لفظة قد جمعت من احرف ° يعجب السامع من وصفي لها ° ووراء العجز ما لم اصف
لو اعار السهم ما في رايه ° من سداد وهدى لم يصف ° حلمه الراجح ميزان الهدى
يزن الاشياء وزن المنصف ° وقال ابن خفاجة ° صح الهوى منك ولكنني
اعجب من بين لنا يقعد ° كاننا في فلك دائر ° فانت تخفى وانا اظهر
وهي الغاية في معناها كما قاله ابن ظافر رحمه الله تعالى وقال الاعمى التطيلي
اذا اشفقت مني الايام في وطني ° حتى تضايق فيما عزمي وطري ° فلا قضت من سواد العين حاجتها
حتى تكر على ما طل في الشعر ° وقال القاضي ابو حفص بن عمر القرطبي
هم نظروا لواحظها فهاموا ° وتشرب لب شاربها المدام ° يخاف الناس مقلتها سواها
ايذعر قلب حامله الحسام ° سما طرفي اليها وهو باك ° وتحت الشمس ينسكب الغمام
واذكر قدها فانوح وجدا ° على الاغصان تندبها الحمام ° فاعقب بينها في الصدر غما
اذا غربت ذكاء اتى الظلام ° وقال الحاجب عبد الكريم بن مغيث
طارت بنا الخيل ومن فوقها ° شهب بزاة لحمام الحمام ° كانما الايدي قسي لها
والطير اهداف وهي السهام ° وقال اخوه احمد رحمه الله تعالى ° اشرب على البستان من كف من
يسقيك من فيه واحداقه ° وانظر الى الايكة في برده ° ولاحظ البدر باطواقه
وقد بدا السرو على نهره ° كخائض شمر عن ساقه ° وقال ابو العباس احمد بن ابي
عبد الله بن امية البلنسي ° اذا كان ودي وهو انفس قربة ° يجازى ببغض فالقطيعة احزم
ومن اضيع الاشياء ود صرفته ° الى غير من يحظى لديه ويكرم ° ومن حكايات اهل الاندلس
في خلع العذار والطرب والظرف وغير ذلك كسرعة الارتجال ما حكاه صاحب بدائع البداية قال اخبرني
من اثق به بما هذا معناه قال خرج الوزير ابو بكر بن عمار والوزير ابو الوليد بن زيدون ومعهما الوزير
ابن خلدون من اشبيلية الى منظرة لبني عباد بموضع يقال له الفنت تحف به مروج مشرقة الانوار متنسمة
الانجاد والاغوار ° متبسمة عن ثغور النوار ° في زمان ربيع سقت الارض السحب فيه بوسميها ووليها
وحلتها بزاهر حليها وباهر حليها ° وارداف الربى قد تأزرت الخضر من نباتها ° واجياد الجداول
قد نظم النوار قلائد حول لباتها ° ومجامر الزهر تعطر اردية النسائم عند هباتها ° وهناك من البهار
ما يزري على مداهن النضار ومن النرجس الريان ° ما يهزأ بنواعس الاجفان ° وقد نووا الانفراد للهو
والطرب ° والتنزه في روضي النبات والادب ° وبعثوا صاحبا لهم يسمى خليفة هو قوام لذتهم ونظام
سرورهم ° ليأتيهم بنبيذ يذهبون الهم بذهبه في لجين زجاجه ° ويرومون منه بما يقضي بتحريكه للطرب
عن القلوب وازعاجه ° وجلسوا لانتظاره ° وترقب عوده على اثاره ° فلما بصروا به مقبلا من اول
الفج بادروا الى لقائه ° وسارعوا الى نحوه وتلقائه ° واتفق ان فارسا من الجند ركض فرسه فصدمه
ووطئ عليه فهشم اعظمه واجرى دمه ° وكسر قنينة النبيذ الذي كان معه ° وفرق من شملهم ما كان
الله جمعه ° ومضى على غلوائه راكضا حتى خفي عن العين ° خائفا من متعلق به يحين بتعلقه الحين
وحين وصل الوزراء اليه ° تأسفوا عليه ° وافاضوا في ذكر الزمان وعدوانه ° والخطب والوائه
ودخوله بطوارق المضرات ° على تمام المسرات ° وتكديره الاوقات المنعمات ° بالآفات المؤلمات ° فقال
ابن زيدون ه ° الهوا والحتوف بنا مطيفه ° ونامن والمنون لنا مخيفه
فقال ابن خلدون ° وفي يوم وما ادراك يوم ° مضى قتلا لنا ومضى خليفه
فقال ابن عمار ° هما قدحان راح وروح ° تكسرتا فاشفاق وجيفه
وذكر ابن بسام ما معناه ان ابا عامر بن شهيد حضر ليلة عند الحاجب ابي عامر بن المظفر بن المنصور
ابن ابي عامر بقرطبة فقامت تسقيهم وصيفة عجيبة صغيرة الخلق ولم تزل تسهر في خدمتهم الى ان هم
جند الليل بالانهزام ° واخذ في تقويض خيام الظلام ° وكانت تسمى اسماء فعجب الحاضرون من مكابدتها
السهر طول ليلتها على صغر سنها فسأل المظفر وصفها فصنع ارتجالا ° افدي اسماء من نديم
ملازم للكؤوس راتب ° قد عجبوا في السهاد منها ° وهي لعمري من العجائب
قالوا تجافى السهاد عنها ° فقلت لا ترقد الكواكب ° وحكى ابن بسام ما معناه ان

Copyright King Saud University